شيئا وصفا وليس فيه مستراح والناس بعضهم على بعض ومروا بها
عليهم فاستغاثوا به فقال اخسئوا فيها ولا تكلمون وقال ابو عمرو بن
العلاء كنت اقرأ الا من اغترف غرفة بيده بالفتح وبلغ الحجاج وكان
يقرأ بالضم فطلبني فهربت الى واد بصنعا فاقمت زمانا حتى سمعت
اعرابيا يقول لآخر قد مات الحجاج فقال الاعرابي

ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال

فلم ادر باي شي كنت اشد فرحا بموت الحجاج ام بسماع البيت استشهد
به على القراءة وحكي بعض القرا قال قرأ الحجاج في سورة هود انه عمل غير صالح
فلم يدر ايقول عملا او عمل فقال ائتوني بقارئ فاتي بي وقد قام من مجلسه
فحبست ونسيني الحجاج حتى عرض السجن بعد ستة اشهر فلما انتهى الي قال
فيم حبست قلت في ابن نوح اصلح الله الامير وحكي انه اراد سفرا فصعد المنبر
فقال اني عزمت على السفر وخلفت فيكم ابني محمدا واوصيته خلاف ما اوصى
به العبد الصالح ان لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم الا واني اعلم انكم
تقولون لا احسن الله عليكم الخلافة وحدث رجل قال هربت من الحجاج حتى مررت
بقرية فوجدت كلبا نائما في ظل جب فقلت في نفسي ليتني كنت مثل هذا الكلب وكنت
مستريحا من خوف الحجاج ومررت ثم عدت من ساعتي فرايت الكلب مقتولا فسالت
عنه فقيل جا امر الحجاج بقتل الكلاب فعجبت من عموم جوره واما حلمه فحكي عنه
انه خرج يوما ظاهر الكوفة منفردا فرأى رجلا فقال له ما تقول في اميركم قال الحجاج
قال نعم فقال زعموا انه من ثمود وكفى بسوء سيرته شرا فعليه لعنة الله فقال الحجاج
اتعرفني قال لا قال انا الحجاج فقال الرجل اتعرفني ايها الامير قال لا قال انا مولى بني
عامر اجن في كل شهر ثلاثة ايام هذا اليوم اشدها فضحك من قوله وصفح عنه واتي
بقوم من اصحاب ابن الاشعث فامر بضرب اعناقهم فقام رجل فقال ايها الامير
ان لي عندك يدا قال وما هي قال شتمك رجل بحضرة ابن الاشعث فرددت عنك ذلك
فقال من يشهد لك قال هذا واشار الى رجل بجنبه منهم فقال صدق ايها الامير
فقال ما منعك ان تفعل كما فعل قال بغضي لك فقال الحجاج اطلقوا هذا ليده

عذرنا

عذرنا وهذا لصدقه في مثل هذا الوقت وقال يوما لاحمد بن يوسف فكرت في امرك
فوجدت دمك ومالك لي حلالا فقال ايها الامير اشد ما في هذه القضية ان هذا
الراي بعد الفكرة فضحك وعفى عنه واما فصاحته وبلاغته فمنها خطبته المشهورة
المطولة مثل يوم دير الجماجم وغيره وفصوله الموجزة في المكاتبات وعلى المنابر قال
مالك بن دينار والله لربما رايت الحجاج على المنبر ويذكر حسن صنيعه الى اهل العراق
وسوء صنيعهم له حتى يخيل لي انه مظلوم وقال الحسن البصري لقد وقذتني كلمة سمعتها
من الحجاج يقول على هذه الاعواد ان امرءا ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له
لجدير ان تطول حسرته وخطب يوما فقال ايها الناس اردعوا هذه الانفس فانها
اسال شي اذا اعطيت واعصى شي اذا سئلت فرحم الله امرءا جعل لنفسه خطاما
وزماما فقادها بخطامها الى طاعة الله تعالى وعطفها بزمامها عن معصية الله
تعالى فاني رايت الصبر على محارمه ايسر من الصبر على عذابه ونعي اليه وفاة
اخيه وابنه فصعد المنبر فقال محمدان في يوم اما والله ما كنت احب ان يكونا
معي في الدنيا لما ارجو لهما من ثواب الاخرة وايم الله ليوشكن الباقي منا ومنكم ان يفنى
والجديد ان يبلى وتبدل الارض منا فتاكل من لحومنا وتشرب من دمائنا كما اكلنا من
ثمارها وشربنا من مائها وخطب يوما فقال ان الله امرنا بالعمل وكفانا الرزق فليتنا
لو امرنا بالرزق وكفينا العمل وقال ايها الناس والله ما احب ان ما مضى من الدنيا
بعمامتي هذه ولما بقي منها اشبه بما مضى من الماء بالماء ولما قتل عبد الله بن الزبير ارتجت
مكة بالبكا فصعد الحجاج المنبر فقال الا ان ابن الزبير كان من خيار هذه الامة حتى
رغب في الخلافة ونازع فيها وخلع طاعة الله واستكن بحرم الله ولو كان شيا مانعا
للعصاة لمنعت ادم حرمة الجنة لان الله تعالى خلقه ونفخ فيه واسجد له ملائكته
واباحه جنته فلما عصاه اخرجه منها بخطيئته وادم على الله اكرم من ابن الزبير والجنة
اعظم حرمة من الكعبة وارجف قوم بموته فخرج متملا حتى صعد المنبر فقال الا ان
اهل العراق اهل النفاق نفخ الشيطان في مناخرهم فقالوا مات الحجاج ولئن مت
فمه والله ما يرجى الخير الا بعد الموت وما رضي الله تعالى ذكره بالتخليد لاحد من
خلقه الا اخسهم واهونهم عليه ابليس ولقد سال سليمان عليه السلام ربه

الناس من اعيا داؤه فعندك دواؤه ومن ثقل عليه راسه منعت عنه ثقله وان للشيطان طيفا
وللسلطان سيفا ... ضعفه ذنبه رفعه صلبه ومن لم تسعه العافية لم تضق عنه الهلكة